من الهداك النبوـهـ الشريف
مـكاوـمـ الـأخلاـق وـحـاجـة الأـعـصـر إـلـيـها

د/ عبد الله عبد الليم أبو العيون
مرـدـسـ الحـدـيـث وـعـلـومـه
بـكـلـية الـدـرـاسات الإـسـلامـيـة وـالـعـرـبـيـة
لـلـبنـات - بالاسـكـنـدـرـيـة - جامـعة الأزـهر
من الهدى النبوي الشريف
مكارم الأخلاق وحاجة العصر إليها

روى البخاري بسنده عن مسروق قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو إذ قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وإنما كان يقول: "إن خياركم أحسنكم أخلاقاً".

1.

وروى مسلم بسنده عن النواس بن سمعان الأنصاري قال:
سألت: رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإناث فقال: "البر حسن الخلق والإناث ماحاك في صدرك وكراهك أن يطلع عليه الناس" 2.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم إن من دلائل النبوة لنبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الأخلاق والتي تعني معرفة الخير وما ينبغي أن تكون عليه معاملة الله سبحانه ومعاملة الناس بعضهم بعضاً، فإن تذكر ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب لوجدنا أن الأخلاق بهذا المعنى أهم أركان شخصيته النبيلة، بل ونبيته ورسالته الجليلة.

1- أخرج البخاري/ ك الأدب/ باب حسن الخلق والشخاء/ حاء 13 م/ 66 (شرح ابن خرب)
2- أخرج مسلم/ ك البر/ باب تفسير البر والإناث/ حاء 111 ص/ 11110 (شرح النروي)
وحينما نقرأ سيرته، ونتدبر مواقفه قبل البعثة وبعدها نجد أن مكارم الأخلاق قد صبحت صلية الله عليه وسلم منذ صباه، فلا فرق عندده بين السر والعلن، وليس في أخلاقه تكلف ولا تصنع بل هي الفطرة الخالصة التي طبع عليها.

إن الله عز وجل قد أودع فيه ما أحب من أخلاق، وما أرضى من عظيم الصفات، فقد أتم له عز وجل مكارم الأخلاق حتى وصفه في كتابه العزيز بقوله: «وإنك لعلى خلق عظيم» (1).

فهو أدب القرآن، فقد كان صلى الله عليه وسلم مدعوحا دائما من الله عز وجل ومن الناس.


إذن فأخلاقه صلى الله عليه وسلم هي أكمل وأتم الأخلاق البشرية على الأطاقم، وأعلاها شأنها ومكانة، فهذا الخلق يعني الإحاطة والشمول العمق، كما أنه يعني القدرة الصالحة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فمن كان يرجو الله واليوم الآخر» (3).

---
1 - سورة الترميم آية (4)
2 - جزء من حدث أخرجه مسلم / أك صلاة المسافرين / باب صلاة الليل و من نام عنه / حفص بن 22/2472، راجع أيضا دلائل البوته للإمام البيهقي حا ص 308، و مؤلفاته
3 - سورة المنتجنة آية (8)
أثر الأخلاق في دعوتة صلى الله عليه وسلم:
إن الله عز وجل أرسل رسوله عليه الصلاة والسلام إلى العالم أجمع حينما ساد الظلم وانتشر الضلال، واسترى أمر الفساد في جوانب الحياة الإنسانية، وأركان البسيطة، وكان من أهداف هذه الرحمة المهدية والنعمة المسدها مايلي:
أولاً: تنقية الأرواح وتخلص العقول مما ألم بها من شواذ الاعتقاد في المخلوقات، وقدرتها على النفع والضر والتصرف في الكائنات، والاطلاع على العيوب.
فكان الهدف إيطال الخضوع والعبودية والاستسلام من الإنسان لم يمم من أمثاله، أو من هو أعلى منها في الاستعداد والكمال.
ثانياً: إصلاح القلب بحسن القصد في جميع الأعمال والترجيه بها لله تعالى، فيحسن العمل ويسالح القصد، وتسمو الأخلاق ويرقى المجتمع الإنساني.
ذلك لأن مبدأ الأمر هو الله تعالى، الذي يعلم ما كان وما يكون إلى يوم الدين، ووضع كل شيء في نصابه الذي يليق به سواء، وأحاط بجميع المصالح صغيرة وكبيرة، دقيقة وجليلة، باطنها وظاهرها، خفية وجليلة، فأتقن سباحة كل شئ خلقه، وكان مبطن ذلك صلى الله عليه وسلم غاية في الحكمة والدقة والإحكام.
ثالثاً: بيان أن أعمال الإنسان مخصى عليه إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، فعن أبي موسى قال: "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "لا تنظروا إلى مال السضر إلا من الذي يؤذى به ولا تنظروا إلى الناس إلا من الذي يؤدثه".

- 224 -
صلى الله عليه وسلم يأرخ إن الله لا ينام ولا ينام له أن ينام يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار (1)

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثلها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله" (2) ذلك لكي يعلم كل مؤمن أن بعد موته يوم حساب وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عمله، وأن ما عند الله خير وأبقى.

فدععته عليه الصلاة وسلم تهذى إلى إصلاح عناصر أساسية في حياة الإنسان فهي تتناول أركان الإيمان الصحيح بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

كما تتناول جانب العبادة الصحيحة التي تحقق عبودية المخلوق لخالقه، وتتناول جملة الأحكام والنظام للمعاملات الفردية والجماعية والدولية بين المسلم والمسلم ومن المسلمين وغيرهم قال تعالى: "مافرطنا في الكتاب من شيء" (3) وقال عليه الصلاة وسلم: "لبيكم الله لقد تركتمكم على مثل البيضاء لبلا ونهرها سواء" (4)

1- أخرجت مسلم / أك الإيمان / باب ماجاء في رؤية الله عز وجل / ح 3 ص 1514 / بشرح النروي
2- المصدر السابق / أك الإيمان / باب تجاري الله تعالى عن حديث النفس / ح 2 ص 148 / بشرح النروي
3- سورة الأنعام آية (38)
4- أخرجت ابن ماجه / مقدمة / باب إتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم / ح 1 ص 4 عن أبي الدرداء دار الفكر.
فلم يترك الهدى النبوي الشريف في حياة الإنسان حركة
إلا وضع لها منهجا جملة أو تفصيلا يصل به إلى مكارم الأخلاق،
ولا غرو في ذلك فهو كما قال تعالى «ماينطق عن الهوى، إن هو
إلا وحي وحى» (1)

وقال «أبو ذره، لما بلغه مببه من صلى الله عليه وسلم
لأخيه: اركب إلى هذا الرادئ فاسمع من قوله، فرجع فقال: «رأيته
يأمر بمكارم الأخلاق» (2)

والكبار جمع مكرمة بضم الراء من الكرم قال الراغب:
وهو اسم الأخلاق، وكذلك الأعمال المحمودة، قال: ولا يقال للرجل
كرم حتى يظهر ذلك منه، وما كان كرم الأعمال مايقصد به
أشرف الوجه، وأشرفها مايقصد به وجه الله تعالى، وإنما يحصل
ذلك من المتقي قال الله تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (3)

وكل فائق في بابه يقال له كريم (4)

فمارت تتقدم ترعة الروح أخلاقيا تسير لصاحبها القيام
بسائر التكاليف الشرعية، وأصبح في مقام العبودية الحققة لله
سبحانه، وهو أشرف مقام يمكن أن يصل إليه إنسان مهما اختلفت
معه حظوظ الدنيا المعنوية أو المادية.

بهذا الهدى النبوي الشريف يصل المسلم إلى أخلاق القطرة

1- سورة النجم آية (52)
2- أخرجه البخاري / ك الأدب / باب حسن الخلق والسماء / أحد 13 من 56/85
3- بشرح ابن حجر
4- سورة الحجات آية (49)
5- نفح البهاء ح 3 ص 60
أثر فطرة الله عليها مجردة من كل شائبة مضلة، إنه تنفيذ لأمر الله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله الذي فطر الناس عليها لا تبدِّل بخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون).  

فمكارم الأخلاق التي يدعو إليها الهدى النبوي الشريف، إنها هي منهج إلهي للدين والدنيا والآخرة وصلاح الفرد والمجتمع واستقامة الملك، قال تعالى: فهم جملناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون).  

ثم قال تعالى: (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون).  

يقول عبد الله بن رواحة:  

(1- الأنعام آية 179)  
(2- سورة البقرة آية 18)  
(3- سورة البقرة آية 200)  
(4- راجع صحيح البخاري/اك الأدب/باب هجاء المشركين/حرف 154/عن أبو هريرة)  
(5- أخرجه البخاري/بدهة الرفيق/حرف 27/عن عائشة رضي الله عنها)
ويشكل أن هذه نتيجة استقرائية لعشرتها لهذا الرجل كريم
الصفات والمحتوى، عريق الأصل والنيل، فلم يتالغ في وصفه، ولم
تجاوز الحد في وصفها، ولم تتجاوز حدود ما كان يشيع في القوم من
خصائصه، وصفاته الحميدة.

لقد كانوا يسمونه بالصادق حيث لم يجريوا عليه كذباً
فقط، وكان يسمونه بالأمين حيث لم يحفظوا له خيانة البثة.

بهذه الخلق تمكن عليه الصلاة والسلام أن ينقل هذه الأمة
في أقل من جيل واحد من غيابه ظلماً جاهلية إلى هدى نور
الإسلام، فجعل - بعون الله تعالى - من الفرقة وحدة، ومن
الوضعي نظاماً، ومن الجهالة علماً، ومن البداوة حضارة، ومن
الفسق صلاحاً، ومن الظلم عدلًا، ومن الجور حقاً إنها أخلاق
الإيمان.

لقد أقام - صلى الله عليه وسلم - في جوف الصحراء أمة
تخلقتب من خلقه العظيم، وماكاني يشع من جنبات قلبه وكيانه من نور
الإيمان، واستطاع أن يكون القاعدة المؤمنة في مكة بيت الله
الحرام، ثم ينطلق بها إلى الطيبة، ومنها إلى الآفاق، داعياً وصحبه
رضوان الله تعالى عليهم إلى الاصلاح والصلاح النخلي، والعلاج
وتقوى الخير والبر ومحاربة الشر والائم قائلاً: «من رأى منكم منكراً
فيه، فإن لم يستطع فبشره، فإن لم يستطع قبقله، وذلك
أضعف الإيمان» (1)

1- أخرجه مسلم/ك الإيمان / باب وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر / ص 252/22
عن أبي سعيد (ابن بشير النروي)
العفو وسعة الصدر من خصائص الهوى النبوي الشريف:

كان من خلقه صلى الله عليه وسلم لين الجانب، رحب الصدر، وسع البال يقدم لكل داو دواده الناجح من ذلك ما رواه أنس. قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه في جزيرة غليظ الحاشية، فذكرت أعرابي فجبذ بردائه جبده شديدة، قال أنس: نظرت إلى صفحة عائقة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبهته، ثم قال بابكر بن الربيع، فأمر له بعطاء.

فمجرد الضحك والابتسام دواء وقفة الحديث إرشاد وترجيه
لمن بعده في علاج مواقيت الغضب، من جاهل أو أحمق قال تعالى: (وعبد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً).

وهذا أسلوب آخر يعمل فيه النبي صلى الله عليه وسلم على سلامة الصدر والقضاء على مصدر المشاكل بين الجماعة الإسلامية.

فقد روى «ابن ماجة» بسنده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا جهم بن حذافة مصدقاً للجدة空白 في صدقته فضببه أبو جهم فشاجه فأثروا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: القود برسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

1 - أخرج البخاري / ك الأدب / باب التيمس / ح - ١٢٢، ١١٩، ١١١، دفتح الباري.

2 - سورة الفرقان آية (٦٢).
لكم كذا وكذا، فلم يرضوا فقال: "لكم كذا، كذا، فرضوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني خاطب على الناس ومخبرهم برضاكم؟" قالوا: نعم، فخصب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إنه هؤلاء اليهوديون أتونى يريدون القعود، فعرضت عليهم كذا وكذا، أرضيتهم؟" قالوا: لا، فهم المهاجرين، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكلفوا فكفروا، ثم دعاهم فزادتهم، فقال أرضيتهم؟ قالوا: نعم، قال: "إني خاطب على الناس ومخبرهم برضاكم" فقالوا: نعم، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال:
"أرضيتهم؟" قالوا: نعم (1)
وهذا مثال لأسلوب الهدى النبوي الشريف في معالجة موقف من المواقفة بحكمته وحسن تصرفه صلى الله عليه وسلم.
ومثال آخر لحسن تربيته ومعظمة أخلائه صلى الله عليه وسلم نراه في الموقف الآتي:

1 - أخرجته ابن ماجه/ك الروايات/باب الجار يفتدى بالقود/1 غ 81 ط دار الفكر
قال: أفتحي لأختك؟ قال: لَا والله يارسول الله جعلني الله فدأك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.
قال: أفتحي لعمتك؟ قال: لَا والله يارسول الله جعلني الله فدأك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.
قال: أفتحي لخالته؟ قال: لَا والله يارسول الله جعلني الله فدأك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.
قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنيه، وظهر قلبه، وحصن فرجه.
قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء (1)
لقد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم إصلاح جعل الفتى يدرك أثر هذه الجريمة النكراء في المجتمع وكيف أن الناس جميعاً لا يرضونه لأنفسهم وأهليهم، كما أنه لا يرضاه هو لذويه، مما حمله على الاقتناع بالإفلاس عنه، وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قراءة النفس، (2)
وأما قول: كيف نقف أمام هذا الحديث؟ هل وقفة استاذ لعلم الأخلاق؟ أو وقفة فيلسوف؟ أو وقفة حكيم؟ أو وقفة مرب عالم؟ أو وقفة مؤمن صادق الإيمان؟ أو وقفة كل هؤلاء؟ إنها كل ذلك وأكثر.

1- أخرجه الهيتمي/مجمع الزوالد / ك العلم / باب في أدب العالم / ح 129، ط مكتبة لقدسي.
2- كتاب 'السنة قبل التدريب' أ/ محمد عجاج الخطيب ص 50 ط دار الفكر للطباعة والنشر.
إنه رسول رب العالمين، داع إلى الله عز وجل بالحكمة والمعظمة الحسنة، بوضوح لا يقاوم، لا يملك الفرد إلا أن يذعن ويسلم.

لقد بني النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الله تعالى وبأخلاقه النبوية الشريفة نفوساً مؤمنة صالحة قانعة عابدة فنجدهم رهباناً بالليل ليؤتوا بالنهاز، وشبان بين بناء الرجال والقرى والبلدان كما يقول الشعر:

بيني الرجال وغرضيه بينى القرى. شتان بين قرى وبين رجال إن آداب النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه ذوق إيماني وسلوك سوي وصراط الله المستقيم، فهو يدعو إلى وصل الروابط الإنسانية، وعدم تقطيعها، يدعو إلى تعارف الأجناس والتراحم بين أحاد الأمة، وأحاد الأسرة، ولم يدع إلى ترك الدنيا، وإهمال ماحل من متاعها.

إن مكارم الأخلاق النبوية تنظم كل قاعدة من قواعد الأخلاق فتدعو الفرد إلى صفاء الروح، والاستقامة والسيطرة على الشهوات بالعفة، والأخلاق، واللين، وكسر جماع الغضب والتواعب، وتخير الحكمة في اصدار النصيحة، والمثابرة في كل عمل يرضي الله عز وجل، وتحمل مشاق الحياة، والانتباه عند الاختبار والامتناع، والشجاعة والبر، والبعد عن الشك والريب، واجتنب الكذب واللفاق، والسراف، والبخل، والتعالي، والتفاخر بالأحباب والأنساب، والحرص على منعت الدنيا الفانية، والفسق والمنكرات... الخ.
وكمائر الأخلاق النبوية تدعو إلى الوفاء بالواجبات الأسرية نحو الآباء والأبناء والزوج والزوجة، والأقارب ذوى الأرحام، والجار الجنب والصاحب الجنب.

إن الأخلاق النبوية تنهى عن القتل والسرقة والإختلاس، والتعامل بالرنا، والاعتداء على أموال اليتامى، والخيانة، وقول الزور.

وتأمر برد الأمانة، ومراعاة المهود، وشهادة الصدق، وإقرار الوفاء بين الناس، والإحسان إلى الضعفاء، والتعاون مع الآخرين، ومحبة الخير للغير كمحبة للنفس.

وترداد الأخلاق النبوية رقة في التعامل فتتأمر بآداب غاية في السمو والعظمة على بساطتها كالاستذان قبل الدخول على الغير وإن كان على أقرب الأقربين، كما خفض الصوت عند الحديث، والمبادرة بتلية الناس والرد عليها بحسن منها، وحسن المظهر والهدام، وحسن اختيار الحديث فكله مقام مقال (1).

من الأخلاق النبوية الشريفة:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلام الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمس يده قط إمرأة لا يملك ورقها، أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه، وكان أسخى الناس لا يبيث عنه دينار ولا درهم، لا يأخذ مما أثناه الله إلا قوت عامة فقط، من أيسر ما يجد من التمر والشخير، ويضع سائر ذلك

---
1- راجع دستور الأخلاق في القرآن، فضيلة د/ محمد عبد الله دراز ط/ دار البحوث العلمية.
في سبيل الله تعالى، لايسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل إقضاء العام إن لم يأته شيء.

وكان يخفض النعل ويرفع الثوب، ويستوى في مهنة أهله، ويرفع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياء، لايثبت بصره في وجه أحد، ويجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية، ويكافئ عليها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين.

يغضب صلى الله عليه وسلم لربه ولاغضب لنفسه، وينفد الحق وإن عاد عليه بالضرر أو على أصحابه، وكان يعصي الحجر على بطنه من الجوع مرة، ومرة يأكل ماحضر، ولا يرد ما وجد وإن وجد تمراً دون خير أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خيراً أو شعيراً أكله، وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله، وإن وجد لبنًا دون خير أكله، وإن وجد طبيخًا أو رطبًا أكله.

وكان صلى الله عليه وسلم لايأكل متكاءً، ولا على خوان(1) لم يشبع من خبر بكر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله سيحانه، إيثاراً على نفسه لا فقاً ولا بخلاً يجيب الواحدة. وعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس، أشد الناس تواضعاً، وأمكنهم في غير كبر، وأبلغهم في غير إطالة، وأحسنهم بشراً لا يهوله شيء من أمور الدنيا، ويلبس ما وجد، فمرة

---
1. الخوار: بالكسر الذي يؤكل عليه مغرب، وضمن لغة في نقلها الغزالي والكسر أصح. الرأزي يختار الصحاح، ص 193، 194 المطبعة الأميرية بالقاهرة 1345 هـ - 1926 م.
شمالة، ومنة برد حَبَّة يمنيا، ومنة جبة صوف، فما وجد من المباح لبس.

وختته صلى الله عليه وسلم فضة يابسة في خنصره الأيمن مرة والأيسر مرة يردد عبادة أو غيره، ويركب ما أمكنه مرة فرساً، ومنة بعيراً، ومنة بلغة شهباء، ومنة حماراً، ومنة يمشى راجلاً.

يحب صلى الله عليه وسلم الطيب ولا يرده، ويكره الرائحة الخبيثة، ويجالس الفقراء، ويؤكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفوا على أحد، يقبل المعذرة إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يبتسم ويضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترفع الأصوات عليه فيصر، ولا يحتقر مسكينًا لفقره وأماته، ولا يهاب ملكًا لملكه.

طيبع الله تعالى عن محسان الأخلاق والطرق الحميدة وما فيه من النجاه والفوز في الآخرة والغبطة، والخلاص في الدنيا، ولزوم الواجب وترك الفضول.

وكان صلى الله عليه وسلم أراه الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأثفع الناس للناس، ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات، وكان إذا نزل به الأمر فرض أمره إلى الله تعالى وتبرأ من الحوار والقوة إليه.

وكان أجدود الناس كفا، وأوسع الناس صدرًا، وأصدق الناس.
لهجة، وأوافهم ذمة وأملهم عريكة، وأكرهم عشيرة، من رآه بديهة
هابه ومن عاشره أحبه (1)
فأخلاقه صلى الله عليه وسلم جامعة للحسن شامله
للجمال البشري، وفتنا الله تعالى لطاعته في أمره ونهيه والتأسي
بكارم أخلاقه آمين.

تواضع مع رفعة المقام:

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم على يقين من أن الله
 تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه ومتأخر، وبحكم عصمتة عن
الفواحش ما ظهر منها وما بطن يستحيل عليه أن يأتي منكراً من
الأخلاق والأعمال، وبالرغم من كل ذلك كان عليه الصلاة
والسلام دائماً ما يدعو بقوله: «اللهم إني أعود بك من الشقاق
والتفاق وسوء الأخلاق» (2)

إنه التواضع مع رفعة المقام والارشاد والترجيح والتربية
والتعليم لامته من بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قال: «إنما
بعثت لأنحص صالح الأخلاق» (3)

1- راجع الفتوحات الإسلامية - لابن سعود المذني / حدد 219 وساعدها، المطبعة
العامة الشرقية، ط الأول / 624 هـ / دلائل البيئة لامام البيهقي حدد ص 308
ومابعدها. ط الأولي دار الكتب العلمية / الشفا للقاضي عياض، حدد ص 3 ونهاها,
مكتبة ومطبعة محمد علي صحيب وأولاده.
2- أخرجه النساوي/ك الاستعادة/باب الاستعادة من الشقاق والتفاق وسوء الأخلاق / عن
أبي هريرة حدد ص 264 دار الفكر ط الأولي 1348 هـ، 1930 م.
3- أخرجه أحمد حدد ص 281 عن أبي هريرة.
أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم تشع في أصحابه:

لقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم خير من اقتنى به وافتقى أثره، وقد مدحهم الله تعالى بقوله: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سماهم في وجههم من أثر السجود" (1)

وقال تعالى: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جناتين خيرين من خيتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم" (2)

لقد بابعوا النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر من المكروه، وأن يؤثروا على أنفسهم وألا يناعروا الأمر أهله، إلا أن يروا كفراً لما عندهم من الله تعالى فيه برهان، وعلى قول الحق أينما كانوا لا يخففون من الله لومة لائم.

وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

لهذا تجد النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا باتباع سننهم والمضي على طريقهم.

فقال روى ابن ماجه بسنده عن العبراط بن سارية يقول: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم دات يوم، فوعظنا

1- سورة الفتح آية (29)
2- سورة النورآية (100)
موظفته بلغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقال:
"يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال: عليكم بتعالى الله تعالى، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشياً، وسترون من بعد اختلافاً شديداً فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواذج (1).

والطلع على سلوك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم تمام العلم أن الإسلام، بتشريعاته العقائدية والأخلاقية ليست فوق طاقة الإنسان، ليست نظريات بحتة غير قابلة للتطبيق، فلقد تمسكوا بالكتاب، وبالنبوى الشريف قولاً وعملاً حتى صار الإسلام لهم طبيعة وسجية، فاستحقوا بجدارة أن يصبحوا قاداء يحكمون علم نبيهم وأخلاقه إلى أمته من بعده.

ولاعجب في ذلك فهم رضوان الله تعالى عليهم تربة نبى اكتملت في خلقه وخلقه عناصر الكمال البشري، وانتهت إلى شخصيته أمجاد الفطرة البشرية، فاصبح أنباهه إلى يوم الدين أعمق الناس له حباً، وأشدهم اقتساء به لأنه أهل لكل حب وخير من يقتدى به، فالاقتضاء به وطاعته هو عين الإيمان.

(1) أخرجه ابن ماجه / مقدمة / باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين / 15 ص ١٦٥ جزء حديث.
حاجة عصرنا الملحمة إلى الأخلاق النبوية الإسلامية:

المسلمون - حمد الله تعالى - كثير من يتطرقون في مشارق الأرض ومنغابها ولكن منهم متمسك بما أنزل الله تعالى من الشريعة الحنفية السمحاء، ومنهم من رأى فيها برأى، فهو إما غال أو مفرط أو مكتف بشعار الإسلام واسمه، وكل يرى أن ماعليه هو الصواب والحق دون غيره، وربما ذلل على صواب موقفه بأدلة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم تعت وتحملها مالاً تتحمل.

وهناك فرق بين هذا وكون الإسلام ديناً ومنهجاً يمكن أن يتجاوز مع الفرد والجماعة في كل بيئة وعصر، فهو صالح لكل زمان ومكان، ليس فيه تزمت أو جمود أو تنافر بين قوانينه وقواعده.

فيقل الإسلام يأخذ الإنسان في بشريته أخذاً؟ وفيما لينا متوازناً لا يبتغي فيه عنصر منعناه تكوينه على الآخر، فلم يدع إلى تعذيب الجسم لأجل الروح، ولم يدع إلى المادية الحبحة، فقول الرسول صلى الله عليه وسلم: »كلوا وأشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة« (1)

إنه الاعتدال والبعد عن الانحراف النفسي والفكري والدعوة إلى الفضيلة، وترك الرذيلة ليستريح العالم من بلائته، وينجو من تاربه، و يصل بحسن الخلق إلى غايته، فمن النبي صلى الله عليه وسلم قال: »أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن

---

1 - أخرجه ابن ماجه، ك البخاري، البس ماتحت ح3، ص2، 1119 خ6 / عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده.
 وعن عائشة رحمها الله تعالى قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

ويقول الله عز وجل: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس تنصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبخ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين».

والأوامر في حال العالم اليوم يعد في كثير من جوانبه المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) كثيرا من البدع بين القواعد الدينية ووضوح الدين الإسلامي، وبين ما يموج به العصر من تكالب على المال، وعلى السلطان والنفوذ، وتكالب على الملكية أشكالها وأنواعها.

ومن القضايا شديدة الوضوح والظهور، الخاصة - مواجهة الأمة الإسلامية من تفقيبات معاصرة للقضاء على الإسلام، وأهداف ذلك ماتبناه به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {يوشك الأم}.

---
1- أخرجه البخاري معلقاً / ك البصائر / باب قول الله تعالى (قل من حرم زينه الله) 10 ص252، وأخرجه السلفي / ك الزكاة / باب الاحتلال في الصدقه 79 ص / عن عمر بن شعبان عن أبيه عن جده.
2- أخرجه أبو داود / ل الأدب / باب في حسن الخلق 4 ص252.
3- سورة القصص آية (77).
أن تتداعى عليكم الأم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها (1)
لقد خفقت نفس المتقين لانتشار العدادة والمنكرات بين الناس، وحين رأى الفتى، وزاد الشك وربيب وضاع أمر الثقة والأمانة ووفر الكذب والخداع والخيانة، فأصبح الغالب من الناس لا يرى إلا نفسه ومصلحته، كما قال تعالى: «وقلت من عبادي الشكور»

أولا: حاجة الأمة الإسلامية إلى إزكاء روح الأخلاق النبوية فيها:
المقياس في الشريعة الإسلامية، مدى الالتزام بكتاب الله تعالى وبالهداي النبي الشريف، ثم الصدر الأول الإسلامي باعتبار أنه أول من طبق العقيدة الأخلاقية من منطق لا إله إلا الله محمد رسول الله وحملوها إلينا صافية نقية كمال الزلال.
فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة مبشراً ونزيهاً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وتبعه من بعه من أهل مكة، واختار أتباعه وضوان الله تعالى عليهم، إحتياطات قاسية، فكانت التضحية من أجل الأخلاق الإلهية السامية بالمال والنفس التي وقعت فيها قلوبهم، حتى خلت أنفسهم من حظوظ الهوى واستقامت على هذا الهدى النبوي الشريف.
وقد كان ذلك وسط انحرافات جمة في العقيدة، والنزاعات القبلية التي بدت طاقات القوم ومنعت تجمعهم في أمة واحدة على قلب رجل واحد.
وكانت هناك الانحرافات الاجتماعية الأخلاقية من فائحة مستعتلة وخمراً، وميسر، وظلم استشرى أمره بين القوم، ظلم

1- أخرجه أبو داره/ كتاب الملاحم/ باب في تدعى الأم على الإسلام/ ج2/ص328
اقتصادي يتمثل في ربا الجاهلية وغيره، وظلم إجتماعي يتمثل في عبودية الإنسان للإنسان، كذا وؤد للبنان في بعض القبائل، وظلم يتمثل في طلب السيادة بالقوة والقهر والاستعباد والاستمتعان في ذلك بالروم تارة وبالفرس تارة أخرى.

إن الهدى الدورى الشريف قضى منذ بدايةه على هذه الأخلاق في نفوس الساقيين من اتباعه.

ويتقلع عليه الصلاة والسلام بهذه الطائفة المؤمنة إلى المدينة المنورة فيستقبلهم إخوائهم من الأنصار أجل وأعظم استقبال، ويوثرونهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويعتبرون المهاجرون عن ذلك داعين لهم بالبركة في المال والأولاد، فما عند الله تعالى خير وأبقى، ولا عجب في ذلك فهم مؤمنون ورسله صلى الله عليه وسلم يقول : "بئى المؤمنون في تراحهم وتوافهم وتعاطفهم كمثل الحمد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمي" (1)

قال: "ابن أبي جمزة الذي يظهر أن التراح التوادد والتعاطف وإن كانت متناقية في المعنى لكن بينهما فرق طيف.

فأما التراح: فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان لا بسب الشيء آخر.

وأما التواد: فالمراد به التواصل الجالب للمنحة كالزواور والتهداء.

(1) أخرج البخارى / ك الأدب / باب رحمة الناس والمهايتم / ح 13 ص 46 عن النعمان بشير
وأما التعاون في الهجرة: فالمراد به إعانا بعضهم بعضاً كما يعطف النور عليه ليقويه 11.

وقال صلى الله عليه وسلم: **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبعك بين أصحابه** 12.

وقال الله تعالى: **إِنَّما الْمُؤمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوِيْكُمْ** 13.

وأذرو الله لملك ترحمون 13.

فهذه آيات الله تعالى ناطقة بما يجب أن تكون عليه الأمة المسلمة، وقد تحققت في الصدر الأول، وحدة الروح والقلب والعقل.

أما عن حاضر الأمة الإسلامية فيصورها الشاعر أقبال بقوله:

كل شعب قام بينى نهضة 00. أرى بنيكم منقسمما في قديم الدهر كنتم أمة 00. لهف نفسك كيف صرت أمها.

ويقول:

كل من أهل ذاتته 00. فهو أولى الناس طرا بالفناء.

لن يرى في الدهر قوميته 00. كل من قلد عيش الغرباء 14.

لقد انحصر الاستعمار العسكري الذي أصاب الأمة الإسلامية، يبقى أذناه داء عضال ينخر في عظام الأمة الإسلامية.

---
1- غل البيري "13 ص 46
2- أخرج أبخاري/ ك الأدب/ باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا/ ح 13 ص 57
3- "سورة الحج" آية (100)
4- "مجلة فجر الإسلام" العدد 35 ص 25 يوليو سنة 1968 م
ويوسع شقة الخلاف فيما بينهم ويعمل على فقدان الثقة بين المسلم وأخيه، إن التكالب على السلطة والتفوؤد مما يخالف هدى النبي الشريف، فالأمر لله تعالى يضعه حيث شاء.

إن النبي صلى الله عليه وسلم حينما أتى بن عامر بن صعصعة فدعاه إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال رجل منهم يقال له بيجرة بن فراس: والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلته به العرب.

ثم قال له: أرأيت إن نحن بابن عاك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر لله يضعه حيث شاء» (1)

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنكم مستتروكون على الإمارة، وإنها ستكون نذامة، وحسرة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبست النافذة» (2)

فهذا مفهوم الإمارة والسلطة من خلال الأخلاق النبوية الشريفة.

الخلاف:

الخلاف لايفسد للرد قضية، والإسلام لايمع الاختلاف في الرأى فهو أمر تقتضيه الفروق الشخصية بين الأفراد، وهي فروق قائمة لا ترد.

1- السيرة النبوية لابن هشام ح- 2
2- أخرجه النسائي/ ك أباب القضاء/ باب النهي عن مسألة الإمارة/ ح- 88 من 235،236 / ط دار الفكر.
أما إذا وصل الخلاف إلى نزاع فأسلم الطريق الرجوع إلى كتاب الله تعالى، والأخلاق النبوية الشريفة المستقاة من كتاب الله عز وجل.

حقيقة الأمر:

وحقيقة الأمر أن المؤمنين جميعًا بعضهم أولياء بعض، وهم أخوة في كل مكان، لاتفرق بينهم لغة أو جنس، أو غير تفصل بينهم جبال وأنهار، ولا صحاري وبحار، يربطون رباط واحد هو رباط الإيمان بالله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا أقوى رباط يمكن أن يكون.

خطر تدخل الفجر:

إن تدخل الفجر هو عدوهم بأخلاق غير المتوافقة مع الأخلاق الإسلامية في شؤون الأمة الإسلامية غير من نظرة بعضهم إلى بعض، ونقل وراء بعضهم إلى نفسه، وبذلك أصبحوا أخيرا لأنفسهم وآمنوا بما فرضه هذا الغير عليهم، ووضعوا الحواجز والفوائض والحدود داخل الأمة الإسلامية.

أصبح للمؤمنين مشاكل اقتصادية وسكانية وسياسية ودفاعية، واستولى على فكر الكثيرين بأن معيار التقدم والحضارة إنما هي فنية وعلمية وموضوعية ولا علاقة لها بالدين وهذا باطل.

العلاج:

العلاج لكل ذلك في تركية الأخلاق النبوية الشريفة، وتمكنها في نفس المسلمين كافة، ليصل الأمر إلى ما كان عليه
السلف الصالح، وتلقائياً سترد الفواصل والحدود بين المؤمنين الصادقين في إيمانهم.
وتقوم العلاقة بينهم على مبادئ الأخلاق الإسلامية والجهاد والخير (1).

ثم نقول بعد ذلك مقالة الشاعر:

يا من رأى عمراً تكسوه برذته ۶۰. والزبت أدمن له والكوخ مأواه بهتر كسره على كرسيه فرعا ۶۰. من بأسه وملوك الروم تخشاه سل المعالي عنا انا عرْب ۶۰. شعارنا المجد ييونا ولهواه إذن فالأخلاق النبوية الشريفة هي العلاج الناجح. إنذن الله تعالى لقضايا العالم الإسلامي.

قال تعالى: "أبى الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعرفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم" (2).

ثانياً: حاجة المجتمع إلى تزكية الأخلاق النبوية الشريفة:

نحن والحمد لله في مجتمعنا أحسن حالاً، وأكثر استقراراً وأمناً من كثير، والروح الإسلامية السامية اللطيفة تسكن قلب كل مسلم في هذا المجتمع، ولكن كثيراً من الظواهر تحتاج إلى علاج عن طريق الهدي النبوي الشريف في الأخلاق، لأنها تتناهي معه كثيراً، وفرق شامع بينهما.

1- راجع كتاب "الأيمانات" من ۲۵ وما بعدها أ.د/ محمد البهبهانی، طبعة الأزهر منه ۱۹۵۹م.
2- سورة الحجرات آية (۱۳)
إن الظواهر السلبية تطالعنا بها وسائل الإعلام اليومية والاسبوعية، بل إن بعض الصحف قد تخصصت في "الحوادث" الكثير منها محلي لا أخلاقي والأخر عالمي. فطالعنا وسائل الإعلام بالسرقات واللصوصية وقطع الطريق، والإستيلاء على الأموال بالإكراه في وضع النهار، كذا جرائم الآداب والمسكرات بأنواعها، وئارة الاختلاس والرشوة، وئارة عقوب الوالدين، والجفاء بين أولى القرى، وخيانته الجار، ناهيك عن الحقد والحسد والغضب والندمحة، والوقوع في أعراض الناس.

إنه دليل على ضعف علاقة المجتمع بالله ودمعي النبى الشريف، ومكارم أخلاقه، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "أتق الله حيثما كنت واتبع السبيلة الحسنة تمحها وخلق الناس بخلق حسن" (1)

ويقول عليه الصلاة والسلام: "أكمل الناس إيمانًا أحسنهم خلقًا" (2) ويقول عليه الصلاة والسلام: "الاقتصاد في النفقة نصف العيش، والتدود إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم" (3) وقال صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم" (4).

1- أخرجه الدرامي: ك الرقيق / باب في حسن الخلق / ح 323 ص 323 عن أبي ذر.
2- أخرجه أبو داود: ك السنة / باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه / ح 4 ص 220 عن أبي هريرة.
3- أخرجه البيروتي: في الجامع الصغير/ح 133 ص 142 عن ابن عمر.
4- أخرجه أبو داود: ك الأدب / باب في حسن الخلق / ح 42 ص 252 عن عائشة.
 وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يضمّن لى ما بين لحيته، وما بين رجليه أضمّن له الجنة» (١) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: قد أفلح من هدى إلى الإسلام، ورثى الكفاف وقعد به» (٢) وعن عبد الله بن عمرو قال: قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: ككل مخوموم القلب، صدوق اليسان» قالوا: صدوق اليسان نعرفه، فما مخوموم القلب؟ قال هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بنى ولا غل ولا حسد» (٣)

وعن عائشة قالت: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونأى عنه فقال: بأس ابن العشيرة، أو أخو العشيرة، ثم أذن له قالان له القول، فلما خرج قلت له يارسول الله، قلت له ماقلث، ثم أثنت له القول؟ قال: باعثة إن من شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقائه فهشمه» (٤)

قال صلی الله عليه وسلم: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه وما كان الحياء في شيء إلا زائه» (٥)

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطعان ولا

____________________
١- أخرج اللطفي / البخاري / تاunu / مسجد حفص شمساء / ١٣٩٠ من سهل بن سعد
٢- أخرج ابن ماجه: ك الهرودي / باب الورع والتكوى / ح. ٢ ص ١٣٠،١٣٢
٣- المصدر السابق: ك الهرودي / باب الورع والتكوى / ح. ٢ ص ١٤١٠
٤- أخرج الزركشي: ك الهرودي / باب ماجاء في المداراة / ح. ٢ ص ٢٤٤
٥- المصدر السابق: ك الهرودي / باب ماجاء في الفحش / ح. ٢ ص ٢٣٥ عن أنس
اللموان والفاحش ولا البذيء (1)

هذه صورة الأخلاقيات النبوية الشريفة بعد عما يشين،
والتمسك بكل ما يذين.

إن الكمال لله تعالى. ولكن حينما تزداد مظاهر الشرفي
المجتمع فإنه يكون شروبيل، والحكم دائما للصفة الغالية (2)

إن مصر كناتة الله في أرضه، وقلعة الإسلام ومنارته
بأزهرها الشريف، فها هي المساجد تفيض بضيوف الرحمن، عامرة
ليل نهار بروادها، إننا نريد أكثر نريد القضاء على كل ما ينكر
ذلك، نريد أصليحا في العبادة وتلخيصها من البدع الضالة ونتائج
مترتبة عليها كما يقول الله تعالى: وإن الصلاة تنهى عن المفسد
والمنكر (3)

فإذا وجدت الأخلاقيات الشريفة وجدت السعادة
والطمأنينة والاستقرار، وفي غيابها يوجد الشقاء والتضييع،
والغلاء والفساد.

فلا مناص إذن من مكاشفة النفس، ووضع اليد على العلة
حتى يمكن علاجها والقضاء عليها، يقول رسول الله صلى الله
على وسلم: "ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء" (4)

1- المصدر السابق: ك البر / باب ماجا في اللغة / portray ص 236 عن عبد الله ط دار
الفكر 1400 هـ 1980 م
2- راجع كتاب وجل من أمة التوحيد أسلم على يديه 4000 من الأجانب، بقلم
عبد اللطيف الجهرفي ص 19، ط دار الصحراء للنشر 1411 - 1991 م
3- سورة المكنوق: آية (40)
4- أخرىه البخاري: ك الطب/باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء/ عن أبي هريرة
ح۳۰ ص 134 فتح الباري
والحديث وإن كان قد ورد في الطب إلا أنه عام، والعيرة بعوم اللفعظ لا بخصوص السبب، فقد أصبحت الأمراض النفسية اليوم علماً وما تقع كل الشرور والمساوى إلا من نفس مرضية بعيدة عن الهدى البوى الشريف.

يقول الشاعر:

"وإن العقيدة عرض فصنده.. إذا كنت ممن يصون الحرم
سارت في قوادك مسأى الدماء.. فلا تبذل الدم إلا ببندام
أمانة ملك فائق خلقه.. فمن كتم الحق فيها ظلم
وميثاقه قبل خلق الجسم.. تلقته أرواحنا في القدم
بها رفع الله تلك النفلوس.. وميزة عن سوام النعم (1)

ويحذتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغدر والخيانة
حتى تسود الثقة والأمانة وهما رأس شعاع التعامل بين الأفراد،
وتراحم والتعاطف والشفقة، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر
لواة، فقيل هذه غدرة فلان بن فلان" (2)

ويقول الله عز وجل: "والذين يؤدون المؤمنين والمؤمنات"

1- من قصيدة للمرحوم الاستاذ أحمد الزين، ذكرها الاستاذ محمد مصطفى أبو الخلا
في كتابه "المصرح العام لمساحة الأئمة" ص 108 ط شركه الجهاد للطباعة سنة 1953
2- أخرجه مسلم: ك الجهاد والسيرة / باب تحرم الغدر ح 3 من عن ابن عمر، وأخرجه
البخاري: ك الجريئة والمروجة / باب إثم الغدر ح 283، وأخرجه ابن عاب ربه /
ك الجهاد باب فرض الجهاد ح 455 ط دار المعرفة بيروت لبنان.
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهترانًا وآثنا مبينًا (1)
وفي الحديث الشريف قاعدة لعلاج من أيقن بها وأمان،
ولعلما أن الاستعلاء والفساد يستطيع أن يأتي بخير حقيقي، فمجتمع يذهب كل فرد فيه بنفسه، محترق لجهره وظامه له، ناس له ومسان ومكارم الأخلاق النبوية لا بد أن يجنيه مالاً يحب.
إن الأخلاق في مجتمعنا مرتبطة إرتباطًا وثيقًا بالإيمان (3)
فالحق أنه لا علاج ولا شفاء ما أصاب مجتمعنا إلا بالرجوع إلى مكارم الأخلاق الإسلامية، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله»

1- سورة الأحزاب آية (58)
2- أخرجه ابن ماجه: ك الفتن 2 باب فتنه المال ح23 م 1323 جزء حديث
3- راجع "الدين والعقل" أ.د/ سليمان دنيا ط فبراير 1959 م
ثالثا: حاجة العالم الملحة إلى الهدى النبوي الشريف في الأخلاق:

لقد عرف الشرق بروحيته وأنه مهبط الوعي، ومنبع الديانات، وبعث النبوات، ومواطن الفضائل، فيه غرس وفيه نمت وتزعمت، عرف الشرق بهذا، بينما عرف الغرب بهمادته وأنه شرق العلم الذي أسسها المسلمون، ومهد الابتكارات، ومنبع الاكتشافات، وهذا ما حمل الناس على أن يجعل تقدم الغرب نتيجة لمادية، وتأخر الشرق نتيجة لروحيته، فأخذ ينظر إلى الشرق بنظرة إعظام وإكبار، وإلى الشرق نظرة ازدراء واحتقار، وإن نظرة واحدة إلى الشرق إلى الجزء الممتدة بين المحيط الأطلسي غرباً، وحدود الصين شرقاً تبينا كيف افادت الإنسانية من الروحية، وكيف أثرت الروحية في الأجواء المختلفة، فأزارتها ما بينها من فوارق جنسية وقطعية مشابهة من حواجز طبيعية.

إن العالم اليوم من منظور الإسلامي بينه وبين الأخلاق النبوية الشريفة المتلازمة مع العقيدة الربانية دون شاعر، والمقاياس

---

1 - أخرجه مالك في الموطأ. ك القدر، النهى عن النزل بالقدر، حسب 33 ص 92 ومهذا من بلالات الأمام مالك، قال السبوي في شرح الموطأ: «وصل ابن عبد البر من حديث كثير من عبد الله بن عمر، ومعرف عن أبيه عن جده حسب 33 ص 93 ط دار الفكر. وقد أخرج ابن داود وزوجته من في اك الماسك باب صفقة حجة النبي صلى الله عليه وسلم حسب 20 ص 185 عن جابر بن عبد الله.

2 - راجع مقال «الإصلاح الاجتماعي بين النزعين المادية والروحية» لفضيلة أ.د. محمد الفحام بمجلة دينار الإسلام، العدد الأول، السنة الرابعة، ص 42 وما بعدها منه.

1978 م
العلمي المادي يتبوأ القمة، ولكن مما يأسف له القلب أن أفكاره المادية لانخرا منها بيته إسلامية.

والحقيقة أن المجتمعات الإسلامية تنمو بتيارات متعددة بصد الاتجاه الغربي، فمنها ما يدعو إلى الأخذ بكل مافي الغرب، فهو مقياس التقدم والحضارة، والأسترخادم، بغض النظر عن كونه مخالف لشرع الله تعالى وسماه نبيه الكريم، ومن التيارات الدعوة إلى تقرب وجهة النظر الإسلامية مع الثقافات الغربية وتطبيق النصوص الشرعية لوجهة النظر أن تكون التوافق معهم، من غير مراعاة للشخصية الإسلامية، ووجب أن تكون العزة لله تعالى ورسله، وليست ايضانة، وأن يكون الإسلام هو الغالب وليس المعولما وأن يكون عزيزا وليس ذيلًا.

إن الإسلام لا يمنع من الإفادة من ثقافات الأم حولنا، ولكن يجب علينا أن نأخذ ماوافق دين الله تعالى، ومنه نبيه، وترك كل ما خالف ذلك، ونكون قد أخذنا بما هو نافع وتركنا ماهو ضار.
حملات الغزو الثقافي الغربي:

لقد أل غرب على نفسه إلا أن يهدم الإسلام وأهله من طريق مباشر تارة، وطرق غير مباشرة تارة أخرى، فنراه ينحسر عن البلدان الإسلامية بجيوشه بعد أن فتح طرفا للغزو الفكري.

فنراه يدفع الشباب إلى اللمع واللعب والخلاءة والمجنون والإغراء في المتع، والأديهي والأمر أنه يقعن الشباب أن في ذلك عنوانا للتقدم والرقى والحضارة، ويصل الحال بنا اليوم لنرى الكثير من الشباب يسير شيء عار دون خجل أو حياء، إنهم يحاولون هدم الدين في النفوس والقلوب، وسيران عنهم أن يعتنق الشباب ديانتهم أو ينكر دينه وإن سمي به.

إن الهدى النبوي الشريف يرى أن الأخلاق هي صحة العقيدة والرجولة والمحبة والسكينة والوقار، ووضاءة العقل، وسلامة العرض، والتوازن بين حاجات الروح والجسد، مؤديا لكل ذي حق حقه، فمن توارث في هذه الصفات ملك السعادة من أطرافها.

وجملة الأحكام الشرعية ترمى إلى حفظ الدين والنفس والعقل، والمال والعرض. بكل توازن يحقق التوافق بين الدين والدنيا، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة العداع "إِنَّ فَوْقَكَمْ وَأَمَرَالْكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَّمْتُهُمْ هَذَا فِي شَهْرِ كَم هَذَا قَبْلَ كُلٍّ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ بَعْثُ قَمِيمٍ".

موضوع 10

١- جزء من حديث طويل آخر، يصرحه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، حادي عشر، ١٨٢ غن، تاجير بن عبد الله.
ومن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: النقوى وحسن الخلق، وسألم ما أكثر ما يدخل النار؟ قال: الأجوفان الفم والفرج ١
فلا حل مع هذه النية المبيتة ضد الإسلام وأهلة إلا بالعودة إلى الأخلاق النبوية الشريفة، على أن تكون واقعة عملياً، وما دمت نعرف أهدافهم ومقاصديهم، فلا بد أن يسهل علينا الدفاع والنصر وتبوع ما يستحقه الإسلام وأهله من مكانة ومنزلة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لايبلغ المؤمن من جَحِرِ مرتين ٢
ومن طريق آخر علينا أن ننشر مكارم الأخلاق النبوية بينهم على الله تعالى أن يشرح صدورهم للإسلام، وأن يهتدوا بهديه عن الإسلام لايمنع التعامل مع الآخرين ولكن يجب أن يكون على الإسلام وعلوه وسموته.
أمثلة لعلاج النبوى لمساواة الأخلاق:
من العلوم ذات القيمة الرفيعة في عصرنا هو علم الأخلاق الذي يدور موضوعه في البحث عن معنى الخير والشر، وما ينبغي أن تكون عليه علاقة الناس بعضهم بعضًا كما أنه يدل على الغاية

١ أخرجه ابن ماجه /ك الذهد /باب ذكر الذنوب /حـ ٢ـ٢ ص ١٤٠٨
٢ المصدر السابق /ك الفتى /باب العزلة /حـ ٢ ص ١٣٨٨
التي يجب أن يقصدها الإنسان من وراء مسلكه مع الدلالة على كل سبيل يقود الإنسان نحو خالقته.

إن النبي صلى الله عليه وسلم في علاجه لأمراض الجاهلية يسلك طرقاً رضية حكيمة في غاية الروعة، مع البيان والفصاحة والبلاغة، فتارة يرغب في عمل الخير بحسن الجزاء عليه، وتارة ينفر من الشيء لما لى من سوء عاقيبه في الدنيا والآخرة، وتارة أخرى يحار محذره، نبهته على الخير ثم يدعو له.

فقال كان عليه الصلاة السلام وافر العقل، زكي العقل، أعقل الناس، وأزكاه، فمن تأمل تدبيره في واقع الخلق وظاهرهم وسياسته العامة والخاصة، مع عجيب شمائله لايقنع أنه نبي مرسلاً.

ومنها يلي أمثلة لدلالته على مكارم الأخلاق ونهيه عن مساوتها:

أولاً: الدعوة إلى مكارم الأخلاق ووذم سوء الأخلاق:

سوء الأخلاق مما يتنافى مع صدق الإمام، كما أنه يشقي صاحبه فيقول أبو حازم "السيء الأخلاق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه هى منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى أنه ليدخل بيه وإنهم لفي سرور فيسمعون صوته فينفرعون عنه فرقاً منه، وحتى إن دابتة لتحيب مما يرميها بالحجارة، وإن كله ليقرأ فينزو على الجدار، حتى قطه ليفر منه!

وفي هذا الباب يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

1- راجع كتاب "الشفاء" للقاضي عياض خ - 1 ص 55
2- سير أمثال البلاء ح - 19 ص 99
نحصلتان لاجتماكات في مؤمن سوء البخل والخلق (1)

ولما كان الخير لا يكتسب إلا بالرفق، ومن جعله الله تعالى محروماً منه فقد جعله محروماً من الخير، لذا يقول صلى الله عليه وسلم: "من يحرم الرفق يحرم الخير" (2)

ولأن الله سبحانه وتعالى يحب الرفق بين الناس نجذ النبي صلى الله عليه وسلم يرغبنا فيه وينفرنا من العنف فيقول: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويتعين عليه مالا يعطيه على العنف" (3)

جاء في كتاب "روح الدين الإسلامي" والزبير أن بعض أعداء الإسلام أرادوا أن يطعنوه في الصميم فشوهدوا الحقائق تشهبها مرعباً.

كما جاء في كتاب "البحث عن الدين الحقيقي" وهو محاضرات في التعليم الديني تأليف المنسنيور "كولي" إذ نعت الإسلام بأقوام الصفات، وزعم أنه خال من الأخلاق.

إن بطلاً ذلك الطمن وسخافته لتنظر واضحة جليا بعد الإطلاع على الأخلاق في القرآن الكريم، إن كل آية من آياته في الدعوة إلى الأخلاق رد قاطع على الإفتروا.

ثم يقول: ولكن قبل أن نستغز مباديء القرآن الكريم

---
1. أخرجته الترمذي أ/ أ/ البر/ باب ماجا في البخل/ أحـ 312 عن أبي سنيد التقي.
2. أخرجته ابن ماجا/ أ/ أ/ باب الرفق/ حـ 2 م 1211 عن جوهرية بن عبد الله الباجي.
3. المصدر السابق بنفس الموضع حـ 2 م 1211 عن أبي هريرة.
الأخلاقية تقدم لأمثال هؤلاء المتهمين على الإسلام مقاله الدكتور «جوستاف لوبون» (إن أصول الأخلاق في القرآن الكريم عالما على ماجاه في كتاب الديانات الأخرى جميعها)

ثم يقول سيرته: إن شهادة الدكتور «جوستاف لوبون» في أخلاق القرآن الكريم لها قيمتها العلمية إذ لم يمله عليه حب لمبدأ، أو كره لآخر بل شهادة للحق وأداء للرسالة العلمية التي يخدمها.

ويقول أيضا: إن الفضائل التي أمر القرآن الكريم بها هي الفضائل الإنسانية الحقة التي أجمع الفلاسفة، ودعاء الإصلاح في العالم على المناذة بها، والتي لو عمل بها الناس لحصلوا على أعظم الخير لعالمهم المضطرب، والذائلة التي نهى عنها القرآن الكريم هي سبب الخصم، والعدوة بين الناس، وهي التي لا يشك في ضرورتها أي مخلص يتغنى الخير للإنسانية» (1)

وأضيف إلى ذلك: إن من الأدلة القاطعة على سمو الأخلاق الإسلامية ماورد في هدى النبي صلى الله عليه وسلم تطبيقا عمليا لرسالة السماء، وكذا من شرح الله تعالى صدره للإسلام من أصحابه، فكان مجتمعا مثليا لابدانيه نظام، ولا منذهب، ولا عقيدة جماعية، أو دعوة فردية، يقول عليه الصلاة والسلام: «خير ما أعطى الناس خلق حسن» (2)

---
2- أخرجه أحمد حب: ص278
عند عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنتمكم بأكبر الكبائر فلما؟ قلنا: بل يارسل الله، قال: الإشراك بالله، وعقود الوالدين، وكان متكنّاً فجلس فقال:
ألا وقول الزور، وشهادت الزور، ألا وقول الزور وشهادت الزور، فما زال يقولها حتى قلت لايسكت، (1)

وقال صلى الله عليه وسلم: وما من شيء أنقل في الميزان من حسن الخلق (2)

فهذا أسلوب من أساليب النبى الهمان الشريف في النهى عن سوء الخلق عن الله تعالى، ثم مع الوالدين ثم مع الناس.
وفي جناس بديع يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من سوء الخلق مع الجار، فمن أبي شريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والله لايومن، والله لايومن، والله لايومن، قبل: (3)

ومن يرسل الله؟ قال: الذي لايأمن جاره بواتقه.

وأخيره البخاري، قال: الآداب، باب عقود الوالدين من الكبائر، عدد 15 ص 16، فتح الباري.

2- أخيره أبو داوود، الآداب، باب في الدعاية، عدد 253، عن أبي الدرداء.

3- أخيره البخاري، الآداب، باب في الأمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، عدد 50.

4- المصدر السابق، باب لاختلسن جارة لجارتها، عدد 12 ص 51، وقوله: وقلت له، فانصرف.
وفي هذا الحديث أمر ونهى، أمر بالتحاب بين الجيران، ولو تواذ بحافرشاة فيما بينهما، ونهى ألا تختار جارة جاتها فتعاملها بسوء خلق.
وفي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين حين دخل القوم فقالوا:
السلام عليكم فقلت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم قال: مهلا يعائشة عليك بالرفق، ولاك والعنف والفحش(1)

إذن فإن سوء الخلق مزوم شرعا في كتاب الله تعالى وعلى لسان نبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: كراهية لعن المؤمن وتكفيره:
من أهداف الهدى النبوي الشريف احترام الإنسان لأخيه الإنسان فيقول عليه الصلاة وسلم: «ثلاث من أصل اليمان - وذكر منها - الكف عمن قال لا إلا الله لانكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام يعمل والإيمان بالأقارب»(2)

وفي التشديد على احترام المسلم المسلم وعدم وضعه بالكافر يقول صلى الله عليه وسلم «إذا كفر الرجل أخاه - أو إذا قال الرجل لأخيه ياكافر - فقد باء بها أخذهما» (3)

1- المصدر السابق /باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا مفحتا /حـ 13 من 20
2- أخرج أبو داود / ك/ الجهاد/باب الغزر مع أئمة الحجر/ حـ 20 ص 18 عن أنس بن مالك: «جزاء حدث»
3- أخرج مسلم / ك/ الابينان /باب بيان حال من قال لأخيه المسلم ياكافر / حـ 1
وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يمرين رجل رجلا بالفسق، ولا يحرم بالكفر إلا إرتدت عليه ما لم يكن صاحبه كذلك» ١.
فقي ذلك نهى عن نسبة الإنسان إلى ما يعبه، وأن الوزير يقع على من بدأ بالسب، أو الشتم حتى يعتدى الثاني عليه، وقد بين عليه الصلاة والسلام: «سباب المسلم فسوق وقاتله كفر» ٢.
من ذلك نرى أن الهدي النبوي الشريف يدعو إلى الاحترام المتبادل بين الناس عامة والمسلمين خاصة، وهذا الاحترام يؤدي بالضرورة إلى التعاون والتعارف وإشاعة الخير ومكارم الأخلاق بين الناس، دون إضرار ولا انقصاص، ولا إثارة للفتن والمشاكل، قال تعالى: «قولوا للناس حسناء» ٤.
ثالثا: حفظ أعراض الناس وذم بسوء.
في هذا من الهدي النبوي كثير، فمن عائشة قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، ٥.

---
١ - أخرج البخاري/ البصري، والأدب ما بيني من السباب، والعن ح-١٣ ص ٧٤٢ عن أبي ذر.
٢ - المسند والرابي بنسق الموضع.
٣ - المصدر السابق /ك الأدب/ باب لا يسب الرجل والديه/ ح-١٣ ص ٧.
٤ - سورة البقرة (٨٢)
قصيرة - فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته (1)
وعن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
إن من أربى الربا استطالة في عرض المسلم يصرح حق (2)
وعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عشير من أمين بُلُسْانه وَلَمْ يَدْخُلَ الإِيْمانَ قَلْبُهُ، لا تغتالوا المسلمين، ولا تببوا عوراتهم، فإنه من أتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» (3)
وفي الهدي النبوي الشريف نرى النبي صلى الله عليه وسلم ينهي عن التجسس لحساب الغير دون حاجة لذلك، يقول صلى الله عليه وسلم: «من أكل برج مسلم أو كثرة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسي ثوبا برج مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برج مقام سمعة وراءه، فإن الله يقوم به مقام سمعة وراء يوم القيامة» (4)
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه، حسب امرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» (5)

---
1- أخرج أبو داود/ كالأدب/ باب في الغيبة سنة 219 ص
2- المصدر السابق نفس الموضع ص 270
3- المصدر السابق نفس الموضع ص 270
4- المصدر السابق نفس الموضع ص 270
5- المصدر السابق نفس الموضع ص 270
وعن عياض بن حماد قال: قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل على من تنصر منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المستبان ما قالا شيطانان يتكاذبان ويتهمان" (1)

من خلال هذا القبس البسيط من النهدي النبي الشريف نرى أنه يجعل السباب والقذف والتهات بالألغاز مناف لمكارم الأخلاق ومحاسنها وقد اقتدى بذلك صالح المؤمنين ونسان حالهم يقول:

وإني لألقى المرء أعلم أنه هو عدوي وفي أحسانه الضغين كامن فأمنحه بشرى فيرجع قلبه سليماً وقد ماته لديه الضغائن وقد صدق الله العظيم في كتابه الكريم إذ يقول: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتموا بهتنا رائماً مبيناً» (2)

إن النبي صلى الله عليه وسلم بأمه رضوف رحيم، حريص على سعادتها ورقيتها من سر الأخلاق، فقوه إرشاده وقائة من الاسم، ورقيته من النار، والبعد عن هول الجحيم، وقضاء في الدنيا على أسباب العادرة والبغضاء والفتين، وما يؤدي إلى الإضطرا ومعاقب في المسلمين، فليحرص المسلمون على مكارم الأخلاق، وليتذكروا منها حلياً حتى تكون من خيار مجيئ النبي صلى الله عليه وسلم الذين ي ألفون ويؤلفون.

1- أخرج أحمد ح4 ص124 122
2- سورة الأحزاب آية (58)
رابعا: القول بالكذب من سوء الخلق:

القول بالكذب مما ينافض مكارم الأخلاق، فإن الكذب يسقط المروءة، ويقضي على الكرامة، ويحمل صاحبه عاراً لا يزول، وخزياً لا يمحي، بل إنه يلوث سمعة الأم، ويضيع الثقة بها، فتسقط من عيون الآخرين، وتصبح في عداد الهالكين.

وفي الهدى النبي الشريف من النهى عن الكذب والتزام الصدق الكثير.

منه الكذب في البيع يذهب البركة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اليمين الكاذبة متفقئة لمسلة محققة للبركة» (1)

وعن حكيم بن حزام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البيعان بالخير مالم يفترقا فإن بينا وصدقا بورك لهما في بيعهما - وإن كذبا وكمما محق بركة بيعهما» (2)

ومنه مقت الكذب حتى في المزاج، فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ويل للذين يحدث فيكذب ليضحبح به القوم ويل له ويل له» (3)

1- أخرج أحمد ح235ص242
2- أخرج الماسوي /اك اليوس /باب وجوب الخير للمتباين قبل اقترافهما ح7ص247
3- أخرج أبو داود /اك الأدب /باب في الكذب ح4ص198ص298
قال تعالى: «إن الله لا يهدي من هو مسرف كاذب» (1)

ويقول عز وجل: «إن الذين يفترون على الله الكذب
لايفلون مثاع قليل ولهم عذاب أليم» (2)

فالكاذب ينافى شجاعة الرجال، فهو صفة ممقوته في جميع
الأحوال، فإنها تذهب الثقة من التجار والصانع، والبائع والمشترى،
وصاحب العمل، والموظف صغيراً أو كبيراً.

يقول الشاعر:
حسب الكذوب من الله 200.0 يوم بعض ما يحكم عليه
فمتى سمعت بكذبة.0. من غيره نسب إلى نفسه
وفي حديث جامع ينفر النبي صلى الله عليه وسلم من
الكذب فيقول: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كنت
فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث
كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر» (3)

وحدث آخر أعم وأشمل يضم نتائج هذه الخصلة فمن عبد
الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق،
فإن الصدق يهدئ إلى البر، وإن البر يهدئ إلى الجنة، ومازال
الرجل يصدق ويتحرب الصدق حتى يكتب عند الله صديقة،
وبابكم والكذب، فإن الكذب يهدئ إلى الفجر، وإن الفجر يهدى

1- سورة غافرة آية (28)
2- سورة التحل آية (116)
3- أخرجه مسلم/ اك أبى عكاسة/ باب خصائص المنافق ح-2 عن عبد الله بن عمر (شرح النوري)
إلى النار ومايجزز الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً (1)

فالصدق ما طابق فيه الخير للمواقع، والكذب ما خالفه،
وهناك فرق كبير بينهما في تعبير الهدى النبوي الشريف، فإذا كان الكذب من مسواى الأخلاق فالصدق فضيلة الفضائل، وآسي الخلاقين، يقوم عليه نظام الاجتماع، وترتيب الأمور وسيرها السير الحميد، وإن أى الصدق ليعال صاحبه عند الناس جميعاً، فيجعله موضوع ثقتهم، مرغوب الحديث عنهم، محبوهما إليهم، محترم الكلمة عند حكامهم، مقبول الشهادة عند قضائهم، لهذا أمرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم كما أمرنا به القرآن الكريم في قوله: «أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» (2)

وأشاد بمكاناته في حديثه عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب إذ يقول: «وهبنا له من رحمتنا رجعنا لهم لسان صدق علياء» (3)

وفي حديث عبد الله بن مسعود مسألة من أهم مسائل الأخلاق وهي طريقة تربة الخلق وتكوينه وتقديمه في النفس وتشيته وجعله من الطبائع، ذلك أن يحترى الإنسانقول الجميل، أو الصنع جميل وعمله المرة بعد المرة، والرابعة تلها الثالثة والسادسة تلها الخامسة، حتى يؤثر في نفسه آثراً حميداً، ويتخذ منها مجرياً، يزداد تعماً كلما تابع العمل، فإذا بذلك الأثر الخلق

1 - المصدر السابق لكي البر باب قبح الكذب وحسن الصدق حـ 16 ص 161 بشرح النروي
2 - سورة غافر آية (28)
3 - سورة التحلي آية (117)
والفضيلة، التي تصدر عنها الأعمال الطيبة بسهولة ويسر.
 فمنز أراد أن يكون الصدق شيمته وخلقه، ودينه وطبعه،
فليتحر الصدق في أقواله، وأعماله، وليتبع ذلك، فإذا الصدق خلته
وإذا به الصدق (1)

وأما الكذب ففي جميع أحواله مزوم إلا كذب يصح بين الناس كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ليس الكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نسي خيراً" (2)
 فالصدق عمود الدين، وركن الأدب، وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة إلا به (3)
 فلا غرو فعليا أن تعالج أنفسنا من الكذب وذلك بالالتزام
صدق وكمارم الأخلاق النبوية.

خامساً: ثم الغيبة والنثماوة وعدهما من سوء الخلق:
 وفيه من الهدي النبوي الشريف ومكارم أخلاقه، ما ينفر
 منه، ويدعو لتجنبه ومقته.
 فمن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"إياكم وظلم فإن الظن أكذب الحديث، ولا تخسروا ولا تجسروا،
ولا تنافسوا، ولا تقاسموا، ولا تباغضوا، ولا تداروا، وكونوا عباد
" (4)

---
1- كتاب الأدب النبوي، الفضيلة المرحوم/ محمد عبد العزيز الخولي ص/151، بصرف ط دار
المعرفة 1982م.
2- آخرجه أبو داود/ ك الأدب/ باب في اصلاح ذات الدين ج/180، 281 عن حميد بن عبد
الرحمن عن أميه.
3- المخطوط للباحثي ح 1 ص 254.
الله إخواناً (1)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.
قال: ذكرنا أخاك بما يكره، قبل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟
قال: إن كان فيه ماتقول فقد اغتبطته، وإن لم يكن فيه فقد بهته (2)

بل يشير الهدى النبوي إلى ضرورة الستر على المؤمن فيقول عليه الصلاة والسلام: لايستر عبداً في الدنيا إلا سترو الله يوم القيامة (3)

ومن صفات المختار والجاسوس أن يكون ذا وجهين لذا تجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يدب هذا الصنف من الناس بقوله:

«إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (4) ولننظر إلى هذا الزجر الشديد عن الخبيث، فعن أبي بزة الأسلمى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لااغتبوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم» (5)

1- أخرجه سالم/ ك الباري باب تخريم الظن والتجسس ح 18 ص 118
2- المصدر السابق/ ك الباري باب تخريم الغيبة ح 142 ص 142
3- المصدر السابق/ ك الباري باب بطارة من مطر الله تعالى عليه في الدنيا ح 143 ص 142 عن أبي هريرة
4- المصدر السابق/ ك الباري ذم ذي الوجهين وتخريم فعله ح 159 ص 159 عن أبي هريرة
5- مسند تخريجه
ولقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم من برد غيبة إنسان
ويبشره بنصر الله تعالى له في موطن يعج بالنصرة فيه، فيقول
عليه الصلاة والسلام: "ما من امرء يخلذ امرأ مسلماً في موضع
تنتهك فيه حرمته، ويتنقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن
يحب فيه نصرته.

وما من امرء بنصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من
عرضه، ويتنتهك من حرمته إلا نصرة الله في موطن يحب
نصرته" (1)

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النميمة، فمن
حذيفة قال: "لا يدخل الجنة فتات" (2)

وأضف ببعضهم في ذى الوجهين:
من لم في الناس لم تؤمن عواقبه... على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسويل بالليل لا يدرى به أحد... من أين جاء ولا من أين يأتيه?

ويقول صالح بن عبد القدوس:
قل للذين لست أدرى من تلونه... أنا من أش ينائي
إلى أكثر مما سلمت عجبا... بد تبى وأخرى مثل تأونى
تغتاني عند أقوم ومدحتني... في آخرهن وكل عنك وأتيتي

1- أخرج أحد دارود/اء الأدب/باب من رك عن مسلم غيبة حرام عن جابر بن عبد الله وآب
طلحة بن سهل الأنصاري.
2- المصدر السابق/اء الأدب/باب في الفتن حرام عن جابر بن عبد الله وآب
مصدر ملاحظات من 268

هذا شيخان قد نافيت بينهما ٥٠. فاكفهم لسائك عن شتمي وتذئبي(١)

وقال تعالى: «ولا تطبع كل حلفك مهدين حماس مشاء بتميم» (٢)

وقال تعالى: «يا أبها الذين آمنوا اجتنبو كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تحسسا ولا يقتبب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم» (٣)

إن الهدى النبوي الشريف بيان وتفسير وتوضيح لما في كتاب الله عز وجل والتطبيق العلمي لما فيه، فأصحاب هذه الصفات المزومة «التتجسس والغيرة والنميمة» دائما في بعض من حولهم لأنهم يعملون دائما على زرع الفتنة بين الناس، وقطع العلاقات بين الوالد وابنه، والرجل وزوجته، والأخ وأخيه، والصاحب وصديقه، فهو دائما نصير شؤم وغراب بين.

ولذلك يصفه الله عز وجل بالفسق فيقول تعالى:

«يا أبها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق فنبلون فتبينوا أن تصبحوا قوماً بجهالة فنصبحوا على ما فعلتم نادمين» (٤)

لكل ذلك نرى أن النبي عليه السلام يعمل جاهداً على قتل وإبادة هذه الصفات النميمة، فحسن الظن بالمسلم من مكارم الأخلاق، وظن السوء بالمسلم يناقضه.

(١) المستطرف للأشبهى حاصلة من ١٠٠ ١٩٢٧
(٢) سورة هزء، آية ١٠، ١١، ١٢
(٣) سورة الحج، آية ١٢
(٤) سورة الحج، آية ١٣
من المطلوب استمداداً من الهدى النبوي الشريف من المسلمون العمل على توثيق العلاقة بينه وبين الناس وبين المسلمين بعضهم ببعض توثيقاً يستدعي الحب والشفرة والمودة والتعاون على البر والتقرب، وصرف القلب، وإدياء النصائح الأمينة وهذا عين حسن الخلق، وهدف عظيم للهدينة النبوية الشريفة.

سادساً: تحرير عقود الوالدين وقطيعة الرحم:

لما كان بر الوالدين من أوجب الحقوق، وأقدس الواجبات على الإنسان، وطاعتهما من أفضل الطاعات عليه، لهذا قرن الله سبحانه وتعالى: «أشا شكر لي ولوالدي إلى المصير» (11)

ولهذا زاد اهتمام الهدى النبوي الشريف ببر الوالدين، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما فيجزر النبي صلى الله عليه وسلم من عقود الوالدين فيقول: ألا أبتسم بأكبر القدر ثلاثاً قلقنا: بأي يارسول الله قال: الإشراك بله، وعقود الوالدين، وكان متكفاً فقبل فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور،
وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت» (1)
وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة منان ولا عاق، ولا مدن خمر،» (2)
و عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رغم أنف ثم رغم أنف، قال، قبل من يرسول الله؟ قال: من أدرك أبوه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل فيه الجنة» (3)
وأما الرحم وصلتها فقد عظم النبي صلى الله عليه وسلم في هديه الأخلاقية في شأنها وفضل من وصلها، وعظم إثم قاطعها بعقوقهم إياها فقال عليه الصلاة والسلام: الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني صلة الله ومن قطعتي قطعه الله» (4)
كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن صلة الرحم سبب في بسط الرزق والبركة في العمر فقال: «من سره أن يسب له في رزقه وأن ينسا له في أثره فليصل رحمه» (5)
ففف هذا الحديث: رحب الرسول صلى الله عليه وسلم الرحم أمرين بسط الرزق، والإنساء في الآخر.
أما ترتيب السعة في الرزق على صلة الرحم فلا أنه بالصلة يستجلب محبتهم، فيما وثبهم على كسب الثروة فترداد، وينفى

---
1- أخرجเขา البخاري/ك الأدب/باب عقوبة الولددين من الكبار ح-312 من بأبي بكر.
2- أخرجเขา السنابي/ك الأدب/باب الرزق في الدنيا في المدين: في الزمان ح-318 من عبد الله بن عمرو.
3- أخرجเขา مسلم/اك ببشرة في الدخل: تزيد الولددين على الطوع ح-108 من بشرح النووي.
4- المصدر السابق/باب الرحم وثوابهم الطبيعة ح-113 من عائشة.
5- أخرجเขา البخاري/ك الأدب/باب من بسط له في الرزق، لعله الرحم ح-120 من أبى هريرة.
بالصلاة عداوتهم، التي إذا استغلب بها استنذفت كثيرا من وقته، يتعمل فيه عن ابتعاد الرزق، ولأنه بالصلاة يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة، وبالصلاة يدخل في زمرة المتدينين قال تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحسب» (1)

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ترتب السعادة الدنيا عليه الأعمال الصالحة.

وأما ترتب الإنسان في الأثر على الصلاة فتكون حياة حافلة بالأعمال الطيبة فهي حياة طويلة فيبهبه الله سبحانه قوة في الجسم، ورجاحة في العقل، ومضاء العزيزة» (2).

إذن فمن مكارم الأخلاق صلة الرحم، وأساس التعامل مع الوالدين أداء الواجب نحوهما، والبعد عن التأفف منهما، أو التنفيذ عليهم بالكلام وطاعة أمرهما، والتواضع لهما، ولين الجانب، وتجنب الغلطة والجفوة في معاملتهما، والتوضف لأصدقائهما، فهذا هو الهدى النبوي الشريف في معاملة الوالدين وصلة الرحم.

سابعا: التكافل الاجتماعي من مكارم الأخلاق النبوية:

من الغرائز التي أودعها الله عز وجل في خلقه محبة التعبد الدنيوي، وقد أخبرنا بذلك في كتابه العزيز في كثير من الآيات عن هذه الحبة فقال تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناعير المقطورة من الذهب والفضة والخيل المسومة (3)

1- سورة الطلاق آية (2)
2- راجع (الأدب النبوي) ص 111 وما بعدها.
والأنعم والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآل (١)

يخبر الله عز وجل في هذه الآية الكريمه عما زين للناس
في هذه الحياة من أنواع الملاذ من النساء والبنين وبدأ بالنساء، لأن
الفتنة بينهن أشد، فأما إذا قصد الإعفاء بهن، وكثرة الأولاد فهو
أمر مرغوب فيه.

وحب المال تارة يكون للفقر والخيلاء، والتكبر على
الضعفاء، والتجبر على الفقراء فهو مدموم، وtàرة يكون للنفقة في
القريات وصلة الرحم، ووجهة البر والطاعات فهو مدوي محمود
شرعاً.

ومثل ذلك الخيل فهي مدمومة إن كانت للفقر والخيلاء،
وبثاب صاحبها عليها إن كانت معدة لسبيل الله تعالى فيقال:
١٠«يا خيل الله اركبي» حتى احتاجوا إليها، وهكذا في الأبل والبقر
والزراعة، إنما أجر لصاحبها، وإنما وزر عليه (٢)

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة المال، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم - حينما أتي أبو عبيدة بمال من
البحرين، وسمع القوم يقدموه، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم
في صلاة الفجر.

١ - سورة آل عمران آية (١٤)
٢ - راجع تفسير ابن كثير حرق ص٣٥٢٤٦
قال حين رأهم أبشقروا وأملوا ما يسركم قلبهما ما الفقر أُحضي عليكم، ولكن أُحضي عليكم أن تَبُسطَ الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسونا فتهلككم كما أهلكتمهم (2)

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الدنيا خضرة جلها، وإن الله مستخفكم فيها، فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا، واتقو النساء (3)"

وقال تعالى: مبينا شدة محبة المال: وَمَنْ خَرَجَ مِنْ مَالِهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ حَرَضْتُ هَذَا جَمَالًا (2) بل يبين سبحانه أن محبة الخير على العموم هي في ذم الإنسان فقال تعالى: "وَإِنَّ الْحَبَّ لِلْخَيرِ لِشَدِيدٍ" (4) ولكن في الحقيقة: أن مكارم الأخلاق النبوية قد هدبت هذه الغزية، وجعلت الإثاث هو الصفة، والطبيعية الغالبة على جماعة المسلمين، وليس هناك شهادة أعظم من شهادة الله تعالى حين قال: "وَيَوْمَئِذٍ لَّنْ يَنظُرِنَّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَوْ كَانُوا بِهِمْ خَصَاصًا" (5) هدفهم في ذلك رضاء الله عز وجل يظهر ذلك من قوله تعالى: "وِيَطِمُّونَ الطَّعَامَ عَلَى حِبِّ مَسَكِينٍ وَيَتِمُّونَ وَيَسِيرُونَ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَلَّوْنَا قَائِمِيْنَ" (6)

وعامة المسلمين يعلمون أن نبي الله حينما انتقل إلى المدينة، وأصحابه لم يكن يملكون من ديناه شيئاً بعد أن نزلوا عن أمولهم وديارهم مهاجرين لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

1- أنصر مسعى: ابن ماجه: 4/1274, 1275
2- المصدر السابق: إبوب: فئة النساء 4/1325
3- سورة الفجر آية (20)
4- سورة العاديين آية (8)
5- سورة الحشر آية (9)
6- سورة الدهر آية (8)
ولما تخلل مع رسول الله أغلب المهاجرين تناقس فيهم الأنصار فحكموا القرعة بينهم، فما نزل مهاجر على أئمتهم إلا بقرعة، إنها أخوة الإسلام، ومن يتأمل هذه الحبكة التي يستحيل أن تكون بتأثير بشير، بل بفضل من الله ورحمته، يفهم كيف انتصر هؤلاء الأقوام، على معانديهم من المشركين، وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدة.

وكان الأنصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم وهذه أعلى درجات الأخوة، وكل ذلك يرونه قليلاً بالنسبة لما يوجب عليهم إخوانهم، فإن رسول الله آخى بين الأنصار والمهاجرين، فكان كل أنصاري ونزيله أخوين في الله تعالى.

ومن العبث أن نكلف القلم أن يوضح أن هذه الأخوة كانت أرقى بكثير من الأخوة العصبية، بل تكى ذلك إلى الإحساس الإسلامي فإنه أقصى منطقاً من القلم وعلى الإجمال فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً في أجساد متفرقة.

وعلى الله تعالى أن يوفق مسلمي عصرنا إلى هذا الإخاء حتى يسودوا كما ساد المتحدون، وكان هذا الإخاء على المساواة والحق، وأن يتزاوروا بعد الموت، ودام هذا الامكاني إلى أن أنزل الله سبحانه: "أولاوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله (1) (2)

1- سورة الأحزاب آية (1)
2- كتاب فنون اليقين في سيرة محمد المسلمين لفضيلة المرحوم محمد الخضري من 103، 104، 107، 1877، 1987 م. بتصريف ط. دار الحيل ط. سنة 1407 هـ.
وقد سخر الله تعالى لنا ما في الأرض جميعاً، ولم يحرم زينة أبدها في كونه، بل أباح المال الحلال، ومدح اليد العليا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فليجمع المسلم ما شاء من مال بشرط أن يكون حلالاً، ليس فيه ضرر ولا ضرر، على أحد من الناس، وأن يخرج حق الله تعالى (الزكاة) ثم يواسى إخوانه المسلمين في ملماتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

يقول عليه الصلاة والسلام: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشاع بالسبابة والوسطى وفرق بينهما قليلاً»

وقال عليه الصلاة والسلام: «خير الصدقة أو أفضل الصدقة»
ما أبقت غني، وأليد العليا خير من اليد السفلى، وابداً بمن
تولى١(1)
ويقول عليه الصلاة والسلام: «لأنا أأخذ أحدكم أحبه
فيأوى الجبل فيجيء بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيسْتَغْتَنُ
بشهبها خيره من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه١٢(2)

وقد فاضت كتب السنة الشريفة بمكارم الأخلاق التي
حتها المجلدات والموسوعات، ولكن أمثلة تذكر تندفع طالب مكارم
الأخلاق النبوية إلى البحث في أقواله وأعماله وقريره وصفاته
الخلية، كذلك البحث في سيرة وأثار أصحابه الغر الميمامين
رضوان الله تعالى عليهم.

والحقيقة أن بلا دنا نفيض بالخيات مقارنة بأحوال الصدر
الأول، فقط نحتاج إلى الإقظاء بمكارم أخلاق النبي صلى الله
عليه وسلم في فتايعها بما قسمه الله تعالى للمرء، بعد أن يجد
ويجهد في عمله، وألا يطلب إلى من هو أعلى منه مالا طمعاً، بل
ينظر إلى من دونه في محمد الله عز وجل، الذي يهده الملك
والملوكوت، وعلى المسلم أن يجعل الحورة والكابحة والحزن لقلة
مالي فيما كان خيراً عند الحساب.

كما نحتاج إلى أن يخرج أهل الغنى زكاة أموالهم التي
فرض الله تعالى عليهم، ونحتاج إلى الإقظاء بالنبي صلى الله عليه
وسلم، وتوجيهاته السديدة في العمل والإخلاص فيه، كما أمر الله
 تعالى بقوله: «وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسله والمؤمنون

١- المصدر السابق ح-٣٤٤ من حكم بن حزام
٢- المصدر السابق ح-١٧ من الزبير رضي الله عنه
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبكم بما كنتم تعملون (1).
ولا شك أن هذه الآية الكريمة تنطوي على قاعدة جليلة سامية، ألا وهي الإخلاص في العمل، الذي يكون مفتاحا لأبواب الخير، الذي يعم الجميع، ويهثنا به كل فرد.

ومن وسائل الفتاعة بالعيش، استحضار معيشة النبي صلى الله عليه وسلم ووزيراه، وقد وصل بهم الحال في بعض أيامهم إلى أن يجمعوا بطولتهم بالحجارة من الجروع، راضين برزق الله عز وجل.
فما حالنا اليوم؟

إذنا في أشد الاحتياج إلى الاقتداء بكمام الأخلاق النبوية الشريفة، وصحبه ورضوان الله تعالى عليهم.

ويعد هذه أمثلة: ذكرتها لهدایات النبي صلى الله عليه وسلم للتمسك بكمام الأخلاق، والبعد عن ذممها.
والحق أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك خصلة ذممها إلا ونهى عنها (2) ويبين أن الآخاذ على الفرد والمجتمع، وأنها في الدنيا والآخرة، وعلى سبيل الأجال:
فهذا أوصى صلى الله عليه وسلم بالجار ودم أذاد، وإهانة الأهل، ودم السكر والمسكرات، ودم الزنا والمعاكشات، وهي أمور تأباهن شهيم الكرام، كما قال الشاعر:

علوا تعاٌ نساءكم في الهمرون، وجنبو مالا يلق بمسلم.
إن الزنا دين فإن أقرضته ـ. كان الوفا من أهل بيتك فاعلم.

1- سورة التوبة آية (55).
2- راجع كتاب "مسارى الأخلاق منهجهما" لة.بيكر العصيري الخراطي مطبعي (1377هـ) ط. مكتبة القرآن للطبع والنشر والنشر والنشر دراسة وتحقيق منجدى السيد إبراهيم.
ولقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الكبر والكبراء، وظلم الناس والاضرار بهم، ونهى عن الحقد والحسد، والتداول والتباغض، والغش والخداع، وأمر بالحياء وبين أنه لا يأتي إلا بخير، فحسب المسلم في كل هذه المدحومات أن يتحمل بخلق الحياء الذي يحمل على البر والخير والطيبات، ويزجر عن تضيع فرائض الله تعالى وارتكاب الفواحش والمعاصي، فهو بل شاك يدفع صاحبه أن يراه الله تعالى حيث أمره، ويفتقده حيث نهاه، ومن أجل ذلك فهو رأس كل خير.

كما قال صلى الله عليه وسلم: «الحياة لا يأتي إلا بخير» (1)

فالحياة يكون من الله تعالى ويكون من الناس ويكون أيضاً من النفس المؤمنة.

وبهذه الثلاثة يصبح الإنسان بالفضل مشهوراً وبالجميل.

مذكورة عند الله وعند الناس (2)

ومما سبق يمكن استنباط ما يلي:

أولا: الأخلاق الإسلامية تنقسم إلى شعبتين:

الشعبة الأولى: هي خسن الخلق مع الله عز وجل وتمثل في الإيمان بالله تعالى إيماناً جازماً مطابقاً للمواقع، والإيمان بملائكته وكتب ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهذه هي

---
1 - أخرج مسلم، كتاب الإيمان، ج1، عن عمر بن الخطاب، ط دار الآفاق الحديثة.
2 - راجع كتاب فدر الإسلامي، للاستاذ عبد العظيم منصور، م2، ط مجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
أركان الإيمان المتلازم النفي لا يمكن فصل بعضها عن بعض.

الشعبة الثانية: وهي المجال التطبيق العلمي لكرام الأخلاق التي أكتسبها المسلم من هدى كتاب الله عز وجل، والهده النبوى الشريف، وتمثل في التعامل بين الأفراد الذين هم عباد الله تعالى مع بعضهم، فليس الأمر آيات تنلى أو أحاديث تروى دون إذاعة، أو تسليم، أو استجابة عملية لأمر الله عز وجل ورسول الكريم.

وذلك بأن يكون المؤمن كما وصفه الحكم الترمذي عند جندب بن عبدالرحمن: "إن من أخلاق المؤمن قوة في دين، وحزا في لبين، وإيمانا في يقين، وحرصا في علم، وقصدًا في غنى، وتجمل في فاقة، وخرجًا عن طمع، وكسا في حلال، ورأي في استقامة، ونشاطًا في هدى، ونهاي عن شهوة، ورحمة للمجهود.

وإن المؤمن من عباد الله لا يخفى على من يغض، ولا يتأثم في من يحب، ولا يضيع ما استودع، ولا يحصد، ولا يطعن، ويعترف بالحق وإن لم يشهد عليه، ولا يتراوح بالألفاب، في الصلاة متنحضا إلى الزكاة مسرعا، في الولاء، وقراء في الركن شكرًا، قائما بالذى له، لا يدعى ما ليس له، ولا يجمع في الفيظ، ولا يغب عليه الشيخ من معرف يرده، يخالط الناس كي يعلم، ويناطق الناس كي يفهم، وإن ظلم وغى عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصرون له (1).

ثانياً: إن الأخلاق النبوية الشريفة حينما سادت الصدر الأول انتشر الأمن والأمان، والمساواة بين الناس، واجتنبت النوازع.

1- خبره النصوص في الجامع الصغير ونسب إلى الحكم الفضلي عن جندب بن عبد الله البصري في كتاب الجليل ٢٥٩، ١٩٧١م.
الأخلاقيات

فلا عجب أن يتآمَر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع خادمه الراغب من المدينة إلى بيت المقدس بالشام، ولا عجب أن ينام هادئاً قرب العين في الطريق دون حراسة ولا حراس، ولا عجب أن يجهز ععد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضي الله عنهما نصف جيش العسرة بمالهما الخاص، ولا عجب أن ينزل عثمان ابن عفان عن نجاحته لله تعالى في عالم اشتث فيه الأمر على المسلمين، ولا عجب حين يكثر المال بأداء الزكاة في عهد أمير المؤمنين عمر بن العزيز حتى لا يوجد فقير يستحقها، فنصرف في عتق الأرقاء، إنها مكارم الأخلاق النبوية الشريفة.

ثالثاً: من خلال العرض السريع لحالة العالم في عصرنا الحاضر بصفة عامة، وأحوال المسلمين بصفة خاصة، يتحم على العلماء الأجلاء، ورجال الدعوة الفضلاء التركيز على تنميق الشعور، وتوطين القلوب، وتعاليم الأخلاق الهدى للنبي الشريف، التي حثت إرشاداً وتوجيهاً وهدية لكل جوانب الحياة، حتى يصل المسلم إلى قمة العبودية لله تعالى، يفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، رائداً للتطور والحضارة والمدنية، وقدوة للناس، وداعياً بكمال أخلاقه إلى الإسلام قبل أن يدعو بأقواله.

رابعاً: وجب انتواء المسلم بتجهيز نفسه، وترقيته، وتطبيقها على حدود الخلقت ومسار المعروف، الذي يرفع عما
يدنسها، ويصرفها عن هواها، فيحملها على فعل الطاعات، وترك المنكرات، وإقالة العثرات، وحـب المساكين، فتعمل على إقامة مجتمع إنساني فاضل ينعم في ظله كل فرد بحريته، ويأمن فيه على حقه، ويضن فيه عرشه ودمه، وماله، وذلك كله باتباع حدود الله تعالى وإجتناب نواهيه، والإقامة بالهدى النبوي الشريف.

خامسا: وجب التعاون الأخلاقي بين الفرد والأسرة، فهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فالرجل في أهله داع لهم ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيته زوجها ومستردة عن رعيتها.

قالولد عليه أن يربي أولاده على مكارم الأخلاق، أما الأم فهي مدرسة إذا أحسن إعدادها، فقد أقنعنا مجتمنعا طيب الأخلاق، والتعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

سادسا: وجب التعاون الأخلاقي بين الأغنياء والفقراء، فإن الغني إذا أعطى الفقير الحق من ماله، وواسع عند الحاجة، نزع منه الحقد والحسد والبغضاء، وهذه أمراض قادرة على الفتك بأواصر الغيبة والمودة والوام، وهذه صفات يجب أن تكون عنوانا للمجتمع المسلم، وعليها أقام النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع الأول من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

سابعا: إن من تجاوز مكارم الأخلاق، ولم يسارع بالترودة والإثابة إلى الله عز وجل، وأصبح سوء الطبع، واقتراح الآثام، والمعاصي، والمنكرات دينه، وسعى في الأرض فسادا، فلا بد أن يقام عليه الجزاء الرادع، فالسرقة تقطع يده، والقاتل يقتل، ومتعاطى
المستخرارات، والقاذف، والزاني غير المحض يجدون فإن كان الزاني متزوج قتل الخ.

فهذا مما ورد به الهدى النبوي الشريف الذي لا يتطلق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وليس في هذا النوع من العقاب غلطة ولا وحشية، كما يدعى أعداد الإسلام، فإنها حكم الله تعالى الخالق العالم بما أودع في خلقه من عارف، وأعلم بما يصلح المنحرف منها.

إن مجتمعنا تسوده الفضائل، وتجنب فيه الرذائل وتقام فيه الحدود لهو مجتمع جدير برضاء الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وجدير بأن يكون في القمة من الحضارة والمدنية، وله الصدارة والعز والفخور، فمكارم الأخلاق النبوية الشريفة تنهى عن الرذائل وتأمر بالفضائل.

وأخيراً: فالالتزام بالأخلاق النبوية الشريفة لانتهى مجرد المعرفة، أو سرد مطالب هذا الخلق، أو هدفه وغايته، ومعرفة نتيجة البعد عنه أو مجرد الحديث عنه فيما بين الناس. إنما الخلق هو انفعال النفس وتأثرها بما ينبغي أن يكون فيفعل، وما لا ينبغي أن يكون فيترك.

والخلق بهذا المعنى هو الصمام ومعتصم، الذي يتمسك به من أراد أن يكون مسلما حقاً، فالإيمان بالله تعالى دون خلق شجرة لا ظل بها ولا ثمرة، والخلق دون إيمان بالله تعالى ظل لشجع غير مستمر.

ونحن هنا كانت عناية الإسلام بمكارم الأخلاق، عناية تفوق...
كل عناء، فصلاح الظاهر إن لم يكن أثراً لصلاح الباطن فلا بقاء له، فهو كطيب أجوف، أو بر معلقة.

وشعبة الأخلاق هي الكفيلة حقاً بالإصلاح الباطن، وهي الشجرة الطيبة التي تثبت أصلها وسق فروعها، وطاب ثمرها، وأكلها كل حين بإذن ربيها(1)

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشهَّات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشهات استيراً لهذته وعرضه، ومن وقع في الشهات، كراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه مجارمه، ألا وإن في الجسد مضجة، إذا صلت صلح الجسد كله، وإذا فست فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (2)

هذا:

وقد حاولت في كل ماسبق أن أحدد المفهوم النبوي الشريف لكارم الأخلاق، وكيف أن سلوكنا في كل ميادين الحياة، يجد فيها طريق مرسوم، واضحا كالحلة البيضاء، فهي أخلاق كاملة، تحمل قيمة الشخصية الإسلامية، وتضع للإنسانية نظاماً يكفل لها الأمان والاستقرار، والنظام والتقدم.

1- راجع «الإسلام عقيدة وشريعة، الإمام الأخضر محمد شلتوت مص. 1423 هـ، 48 ط الثانية عشرة سنة 1483م ط دار الشرق وراجح دور الحرم الإسلامي» للاستاذ محمد طاهر مص.2002 ص240،
2- أخرج البخاري/ك العلم/باب فضل من استراً لهذته حـ 1 مص. 134، 137 عن عمرو بن بشير.
3- وشرح ابن حجر
والله من وراء القصد، ومشارفي إلا بالله، وأُخرى دعوى أن الحمد لله رب العالمين.

د. عبد الله عبد العليم أبو العيون
مدرسة الحديث وعلومه
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات - بالإسكندرية - جامعة الأزهر